



-1-

إذا دعاك الكريم إلى وليمة فإنه يقدم لك من ألوان الطعام ما يشاء، لا ما تشاء، فلا تملك إلا أن تأكل وتشكر. أما إذا ذهبت إلى المطعم ودفعت ثمن طعامك فإنك لا تأكل إلا ما تختاره برضاك، ولو أن صاحب المطعم أو نادله لم يأتك بطبق على هواك، بل على هواه، فإنك ترده وتتأبه. فكيف لو أن المطعم كان من تلك الطبقة التي لا يغشاها إلا الأثرياء، حيث تكلف الوجبة الواحدة ما يجمعه أمثالنا من عامة الناس في أسبوع من العمل الشاق؟ يا أيها المتآمرون على الشعب السوري الأبيّ الكريم العظيم: لقد دفع هذا الشعب المجاهد المصابر ما تعجز عن دفعه الأمم الكبيرة في العشرات من السنين، فلا تطبخوا له في الخفاء. وما أدراك إن فعلتم أنه سيأكل ما تطبخون؟

-2-

لم يخف علينا ما يصنعون؛ منذ عام وهم يبحثون عن البديل.

ما ضرّهم أن يصبح الناس ويُمسوا على حرّ النار ولا لانت قلوبهم لنساء يُغتصبن وأطفال يذبحون وشهداء بالمئات في كل يوم يتسلطون؛

لقد طوّلوا المحنّة راغبين حتى يصل الناس إلى درجة من اليأس فيقبلوا راغمين بما يريدون، وماذا يريدون؟ إسقاط النظام؟ كيف؟ ومتى رغب مَثَلَ أنْ يُهدم التمثال الذي نحته بيديه؟ هذه أماناتكم أنتم يا سوريين، أما الغرب – وأميركا زعيمة الغرب – فلهم رأي آخر: يريدون أن يصونوا الصنم الذي نحتوه، يريدون للنظام أن يبقى، أما الأبله الذي وضعوه رأساً له فإنهم لا يبالونه ولا يكترون ساعة: أبقي أو زال؟ المهم أن يبقى التمثال.

هل عثروا أخيراً على الرأس البديل؟ ما قصة الانشقاق الغامضة تلك التي لم يعلم علمها إلى هذه الساعة أحد؟ ولماذا العمرة؟ وإفطار على مائدة وزير الخارجية التركي؟ هل صلى ذلك الرجل لله ركعة من قبل حتى يعتمر ويصوم؟ ثم إن الفطر للمسافر رخصة! وما هذه الحماسة الهائلة يا إعلام العرب؟ تعبت وأنا أحصي المقالات التي تلمع الرجل وتبيّض تاريخه، أما البرامج والمقابلات فأمر آخر؛ ولقد وَهْمَتْ مرة حتى خُلِّي إلَيَّ أن صلاح الدين عاد من الرقاد، إلا أنني أدركت سرعاً أن الموتى لا يعودون. ارحموا عقولنا يا رُعَاة إعلام العرب، يا دعاة على أبواب الضلال.

-3-

حسناً، سأعترف: لا يهمني ما سيرة الرجل ولا على أي شيء تنطوي سيرته، فهو وطني مخلص صادق أم مدع كذلك؟ وسوف أنسى أباه وما صنع بشهداء تدمير أبوه، وأخاه وما بلع من مال الأمة أخيه. لن أسأل عن ذلك كله، ولكنني سأفترض أن الرجل ابن أبيه.

وما أبوه؟ أنسيتم أم أنكم لا تعلمون؟ لو نظرنا إلى النجوم التي حملها على كتفيه والنياشين التي علقها على صدره لرثينا له من ثقل الأحمال ولظتنا أنه كان يأمر وينهى ويقود جيش البلاد، ولكنْ لقد علم القريب والبعيد أنه لم يكن غير شيئاً: حذاء في رجل طاغية البلاد يرفس به من شاء متى شاء، وممسحة في يده يمسح بها القذى والأقدار.

إذن فخبرونا عن هذا الرجل الجديد: لقد هيأتموه ليكون حذاء وممسحة، ولكن في يد من وفي رجلٍ من من أعداء الشعب السوري العظيم؟ نعم، لقد فهمنا أنكم تبحثون عن رأس جديد للتمثال بعدما بلي الرأس القديم وزال أو كاد يزول، ولكن ماذا عن التمثال؟ هذا هو جوهر السؤال.

لم يخف علينا ما يصنعون. يريدون الإبقاء على جوهر النظام وجذعه وتغيير الرأس والأطراف.

الأميركيون لهم رجال يريدون بقاءهم ليضمنوا من خلالهم مصالحهم، وللفرنسيين رجال، وللروس رجال، ولإسرائيل أيضاً رجال... كلهم يريدون في سوريا الغد رجالاً يكونون ضماناً لمصالحهم فيما يأتي من الأيام كما كان لهم رجال ضمنوا لهم مصالحهم فيما مضى من الأيام.

-4-

فليطبخوا ما شاؤوا أن يطبخوا، ولكن كيف سينفذون المؤامرة؟ الثورة ثلاثة أثلاث، وهي أثلاث غير متساويات لحسن الحظ. أعداء الأمة يملكون نفوذاً كبيراً على ثلث، ويستطيعون أن يملكون نفوذاً متوسطاً على ثلث، وثلث لا طاقة لهم به ولا سبيل لهم إليه. من فضل الله على الثورة أن الثالث الأول هو الأقل شأناً والأضعف أثراً في الثورة، وأن الثاني يعوض بعضه نقص بعض، والثالث هو العمود الذي تستند الثورة عليه وتعود قوتها إليه.

القسم الأول هو المعارضة السياسية التي تعيش خارج سوريا وتلتقي بمسؤولي الدول الغربية كل يوم. هؤلاء هم الحلقة الأضعف لأن نفوذ الدول عليهم هو الأقوى ولأنهم لا يملكون في أيديهم أبداً من أوراق القوة، فليست لهم أرض يقيمون عليها معارضتهم، والمجتمع الدولي لا يعترف بهم، ولا أموال تصل إلى أيديهم إلا مما "تجود" به عليهم الحكومات والهيئات الدولية من هبات. إذا اقتنعنا بأن قوة المعارضة السياسية الخارجية محدودة فإننا سوف نعذرهم إذا قبلوا بخطط يخططها غيرهم لهم وإذا وافقوا على حُنْي رؤوسهم وتقديم بعض التنازلات، ولكننا لا نعذرهم أبداً في واحدة غيرها: أن يُخْفِفُوا عنا ما يعلمون. لقد مضى وقت استغباء الشعوب وولى الزمن الذي كان السياسيون يعتبرون فيه أنفسهم رعاةً وعامة الناس هم القطيع.

لا قطيع بعد اليوم ولكن أحرار يعقولون ويعرفون كيف يختارون ما فيه صلاح أمرهم وما فيه الخير لبلدهم. إننا نعيش في الزمن الشفاف، حيث لا مكان لإخفاء حقيقة وحيث لا يقبل العقلاً أن يعيشوا في العتمة فيما يطبع لهم الطباخون وراء الستار ما يطبخون.

في أيها المعارضون ويا أيها السياسيون: أخبرونا بما تعرفون. لا بد أن كثريين منكم يعلمون بما يدور وراء الكواليس، فلا تتعالموا على الناس ولا تقروا أنفسكم أوصياء عليهم وتختاروا ما تُخْفون وما تكشفون. إلا تخبرونا بما تعرفون تكونوا شركاء في المؤامرة، ولن يسامح الشعب السوري العظيم أحداً من المتآمرين ولا من المتواطئين.

-5-

الثالث الثاني أحسن حالاً وأعظم أثراً في الثورة، وهو الكتائب المقاتلة. هؤلاء سوف ينحاز بعضهم إلى المؤامرة، لا حبّاً بها وب أصحابها ولا اقتناعاً بجدواها، ولكن لأنهم لا يجدون ما يشترون به السلاح، فإذا وجد السلاح فقد ما يجعله مفيداً من ذخائر وطلقات وحشوات، وكل ذلك يشتري بالمال، والمال في أياديهم قليل أو معذوم.

لقد خذلتهم وتركتموه يعانون من شح التمويل ونقص السلاح ونفاد الذخيرة فأجلأتموه إلى مد اليد إلى العدو الغريب؛ ما عليهم من لوم، أنتم - يا أيها المسلمين - الملومون.

ولكن الكتائب كثيرة؛ هل تعلمون كم تبلغ؟ منذ شهر أو شهرين أطاعت على قائمة فيها أسماء أربعينية وثمانية وتسعين من الأولوية والكتائب، ولا بد أنها زادت منذ ذلك الحين.

معنى هذا أن نصف ألف كتيبة على الأقل تتحرك على الأرض وتقاتل في الميدان، كل منها فيها من المجاهدين مئات. هل سيصل أعداء الأمة إليها كلها ويركبونها في مركبهم جمِيعاً؟ لن يفعلوا؛ سيبقى عشرات آلاف من المجاهدين خارج السيطرة والنفوذ، هؤلاء قوة للثورة ومصدر من مصادر استقلالها، وكلما زادوا زادت قدرتها على الاستقلال وعلى الاستعصاء على الإملاء. وكيف يزيدون؟ بفضلكم ودعمكم يا أيها الأحرار من عرب ومسلمين، يا من تقرؤون هذه الكلمات. كلما دعمتم المجاهدين الصادقين بالمال كلما كانوا رداءً للثورة وسدوا يقينها المؤامرات. وتسألون - بعد - عن المشاركة في الجهاد؟ هذا باب jihad مفتوح على مصراعيه لمن أراد. - 6 - وصلنا الآن إلى الثالث الثالث، وهو أصل الأثلاث الثلاثة وأسّها وأساسها، وهو أعظمها وأكبرها وأقوىها.

إنه جمهور الثورة الشعبية السلمية الذي يتكون من ملايين الأحرار ويغطي أرض سوريا كلها من شمالها إلى الجنوب ومن البحر إلى الصحراء.

أولئك الذين دافعوا عن ثورتهم وسلميتها منذ دهر، ولا أزال، والذين اعتبرتهم على الدوام الضمان الأكيد الوحيد لهذه الثورة وضيّقوا أمانهااليوم وفي الآتي من الأيام. الثورة الشعبية هي التي حررت العالم ودفعته إلى البحث عن مخرج من أزمة أرهقه طولها ودومها، وهي التي صنعت الجيش الحر الذي يقود البلاداليوم إلى الاستقلال في حرب التحرير بإذن الله، وهي التي تحضن هذا الجيش وتمده بأسباب البقاء؛ لو لاها لما عاش الجيش شهراً ولأنفنته الآلة العسكرية الجباره لنظام القتل والإجرام. هذه الثورة هي أيضاً الضامن الأكبر للمستقبل السوري المشرق، لأن بقاءها حيّة قوية سيفتح المؤامرات ويحمي سوريا من عبث العابثين. ربما نجح أعداء الأمة في شراء بعض المعارضين السياسيين فسلموا أنفسهم راغبين، وربما نجحوا في استغلال حاجة بعض المقاتلين فاستسلموا راغمين، ولكن آن لهم بالوصول إلى الثوار الملايين الذين يملؤون الأرض؟ أولئك هم الجزء العصي على البيع والشراء والاحتواء والخداع؛ ليست لهم قيادة جامعة لتخذع، ولا رأس لهم (الحسن الحظ)

ليُشتري ويَبْاعُ. الثورة بخير، وسوريا بخير، ومستقبل سوريا بخير -بإذن الله-. ما استمرت هذه الثورة الشعبية العظيمة.

استمروا يا ثوار، لا يخيفكم شرق بالرعد ولا يخدعكم غرب بالوعود، ولا تسمعوا لمن يقلل من جهdkm وجهاًركم، فإنكم كنتم الأولين في هذه الثورة المباركة وستبقون الآخرين، وعلى جُدر صبركم ستتكسر أمواج المؤامرات ويرتدّ على الكاذبين كيدهم إن شاء الله.

- الخلاصة -

نحن نعلم أن أميركا والمعسكر الغربي يضغط على الثورة ضغطاً شديداً لكي يخرج بأعظم المكتسبات. ولكي تكون واقعيين ونبعد عن خيالات الشعراء وأحلام الحالين فإننا نُقرّ ونعرف بأن علينا تقديم بعض التنازلات، فإننا نعيش في عالم معقد متشارك المصالح والاهتمامات، ولا بد لنا من التفاهم والتعايش مع هذا العالم المعقد.

ولكن توجد هنا مشكلة من المشكلات الكبرى التي يعجز عن حلها ذوق العقول والأفهام. نحن مستعدون للتنازل عن القشور، فنقول لهم: سنرضى بأي "طْرُطُور" تختارونه لقيادة البلاد في المرحلة الانتقالية بشرط أن يُحَلَّ الجسم القيادي القديم كله، وبتحديد أكثر: الأجهزة الأمنية المخابراتية بكل قياداتها وعناصرها كبیرها وصغيرها من الرأس إلى القواعد، وكبار ضباط الجيش (الضباط الأمراء، من رتبة عميد فأعلى)، بما فيهم قادة الكتائب والألوية التي شاركت في القمع والإجرام ولو كانوا من رتب أدنى)، وحزب البعث بكل طبقاته، ومجلس المهرجين (الذي يدعونه زوراً بمجلس الشعب).

ولن نرضى فقط بحل جسم النظام القديم بمكوناته المذكورة، بل إننا نُصرّ على المحاسبة والمعاقبة، بعيداً عن ترهات وسخافات "المصالحة الوطنية" المزعومة التي أوجعوا بها رؤوسنا منذ حين. نعم، نحن مستعدون للتنازل عن القشور مقابل تغيير الجوهر، ولكن أعداء الأمة (أميركا والمعسكر الغربي) يريدون أن يحافظوا على الجوهر وأن يخدعونا بتغيير شكلي لا يتتجاوز الرأس والقشرة والأطراف. هنا المشكلة، فماذا نصنع؟ الحل الوحيد: الاستمرار في الثورة، التشبت بخطوط الثورة الحمراء: إسقاط النظام، كل النظام، محاسبة ومحاكمة المجرمين، كل المجرمين. أما تنصيب فلان أو فلان رئيساً من رؤوس المرحلة الانتقالية فلا يطالبنا أحدٌ برأي فيه.

هذا لا يزيد على أن تخبرونا بعنصر واحد من عناصر الطبخة، بل بمنكِّهٍ من منكّهاتها. أطّلعونا على الطبخة كلها ثم اطلبوا منا الرأي والقرار.

كفاكم ألاعيب، كفاكم استخفافاً بعقولنا يا أيها الطباخون. أظنون أن شعباً ثار على أسوأ نظام يعرفه كوكب الأرض في القرن الحادي والعشرين ، وثبتت أمام جبروته ثبات الجبال الراسيات، وصبر تحت ضرباته أعجب الصبر وقدم التضحيات بلا حساب ، ومنذ انطلق في ثورته وحطم القيود لم يلتفت قط إلى الوراء... أظنون أن شعباً هذه صفتة يمكن أن يتلع الطعم وأن يستمرئ طبخكم التي تطبخون؟!